

الطقوس الفلاحية في الأوراس: دراسة أنثروبولوجية لتحولات
المعتقد والممارسة.

**Agricultural Rituals in the Aurès: An Anthropological
Study of Transformations in Beliefs and Practices**

سعو نبيل*

¹ سعو نبيل، استاذ باحث قسم أ، مركز البحث في اللغة والثقافة الامازيغية- بجاية-: nabileprof@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم/الشهر/السنة ؛ تاريخ القبول: اليوم/الشهر/السنة

ملخص:

الطقوس الفلاحية هي ممارسات ثقافية واجتماعية تعكس الترابط الوثيق بين الإنسان والطبيعة، وتلعب دوراً حيوياً في حياة المجتمعات الفلاحية، حيث تُستخدم كوسيلة لتكريم الأرض، والطبيعة، والأسلاف لضمان نجاح المحاصيل الزراعية. تهدف هذه الدراسة إلى معالجة إشكالية تأثير الطقوس الزراعية في تعزيز الهوية الثقافية، والحفاظ على التماسك الاجتماعي، مع التركيز على أبعادها الاقتصادية، والرمزية ودورها في مواجهة تحديات التغيرات البيئية والاجتماعية.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لفهم بنية الطقوس وعناصرها، بالإضافة إلى المنهج الأنثروبولوجي الذي يُركز على دراسة سياقاتها الثقافية والاجتماعية من خلال استنطاق التجربة الميدانية. كما تتضمن الأدوات تحليل النصوص والموروثات الشفوية، إلى جانب تصوير بعض الطقوس وتحليلها. أما عن النتائج المرجوة من هذه الورقة البحثية فهي تقديم فهم أعمق لدور الطقوس الفلاحية في تعزيز الانتماء الثقافي، وحماية التراث الفلاحي في ظل التغيرات العصرية. كما تهدف إلى إبراز الأبعاد الرمزية لهذه الطقوس بوصفها تعبيراً عن العلاقة التكاملية بين الإنسان والطبيعة، ووسيلة لضمان استدامة الموارد الطبيعية، وتعزيز الوعي البيئي.

الكلمات المفتاحية: طقوس؛ ممارسات؛ أرض؛ هوية؛ أنثروبولوجيا.

Abstract:

Agricultural rituals are cultural and social practices that reflect the deep connection between humans and nature, playing a vital role in the lives of agricultural communities. They are used as a means of honoring the earth, nature, and ancestors to ensure the success of agricultural crops. This study aims to address the issue of the impact of agricultural rituals on strengthening cultural identity and maintaining social cohesion, with a focus on their economic and symbolic dimensions and their role in facing the challenges of environmental and social changes.

The research relies on a descriptive-analytical approach to understand the structure and elements of the rituals, in addition to an anthropological approach that focuses on studying their cultural and social contexts through field experience.

The expected results aim to provide a deeper understanding of the role of agricultural rituals in enhancing cultural belonging and protecting agricultural heritage.

Keywords: Rituals; Practices; Earth; Identity; Anthropology.

* المؤلف المراسل. سعو نبيل

مقدمة:

تُعد الطقوس الفلاحية جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي في منطقة الأوراس، حيث كانت تشكل جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمجتمع الفلاحي المحلي. فقد كانت الطقوس الفلاحية تُستخدم في ضمان خصوبة الأرض، واستدامة المحاصيل الفلاحية، كما كانت تمثل وسيلة لتكريم الأسلاف والأرواح التي يُعتقد أن لها تأثيرًا مباشرًا في نجاح الفلاحة. ومع التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة، بدأت هذه الطقوس تتراجع تدريجيًا، مما بات يهدد الهوية الثقافية، والذاكرة التاريخية للأجيال القادمة. وعليه، تبرز إشكالية رئيسية في هذا السياق تتمثل في: كيف يمكن الحفاظ على الطقوس الفلاحية في منطقة الأوراس في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة؟

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال استكشاف تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية على الطقوس الفلاحية، وكيفية الحفاظ عليها في ظل التحولات الحديثة التي طرأت على المجتمع الأوراسي. وتتناول الدراسة عدة محاور أساسية، من أبرزها تعريف الطقوس الفلاحية، وأهميتها في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية في المنطقة، حيث أن هذه الطقوس كانت تعكس العلاقة الروحية والرمزية بين الإنسان والطبيعة. من خلال فهم هذه الطقوس، يمكننا الوقوف على دلالاتها الثقافية، وعلاقتها بمعتقدات المجتمع الأوراسي فيما يتعلق بالأرض، والموارد الطبيعية.

كما نستعرض في هذه الدراسة أيضا عامل المقدس باعتباره طقس من الطقوس الفلاحية، علما أن الطقوس الفلاحية تُعتبر ذو صلة مباشرة بالمقدس، من خلال تأكيد العلاقة الروحية بين الإنسان والأرض. هذه العلاقة كانت تُعبر عن احترام الأسلاف، والاعتراف بالقدرة الخفية للطبيعة، التي تتجسد من خلال الأفعال الطقوسية التي كان يُعتقد أن لها تأثيرًا مباشرًا في نتائج المحاصيل.

كما أن هذه الدراسة تركز على جغرافية منطقة الأوراس وأثرها في تشكيل الممارسات الفلاحية، والطقوس المرتبطة بها. فالمنطقة الجبلية ذات المناخ المتنوع، والظروف الطبيعية القاسية ساعدت في تشكيل طرق الزراعة الفريدة التي ترافقها طقوس، واحتفالات موسمية خاصة. هذه الجغرافيا جعلت من الطقوس الزراعية وسيلة للتكيف مع البيئة وحمايتها، مما جعلها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية للفلاحين في المنطقة.

أيضًا، نتطرق للممارسة الفلاحية باعتبارها معتقدًا، حيث أن الممارسات الفلاحية في منطقة الأوراس لم تكن تقتصر على مجرد الوسائل الاقتصادية، بل كانت تتداخل مع المعتقدات الدينية والثقافية. وبالنسبة للفلاحين في

الأوراس، كانت الأرض بمثابة كائن حي يجب احترامه وتكريمه من خلال طقوس خاصة تؤكد هذه العلاقة الروحية.

وفي سياق الاحتفالات الفلاحية، تركز هذه الدراسة على تلك الاحتفالات التي كانت تُقام بمناسبة مواسم الفلاحة والحصاد. هذه الاحتفالات لم تكن مجرد مناسبات اجتماعية، بل كانت تحمل بعداً رمزياً ودينيًا، حيث كانت تعتبر وسيلة للترابط الاجتماعي، وكذلك لتحفيز الأرض على العطاء من خلال الصلاة، والدعاء للأرواح.

وأخيرًا، تسلط هذه الدراسة الضوء على أسباب تراجع الممارسات الفلاحية في منطقة الأوراس. فقد أثرت عدة عوامل في تراجع هذه الطقوس، من بينها التحولات الاجتماعية مثل الهجرة إلى المدن، والانتقال إلى أساليب إنتاج فلاحية حديث لا يتطلب نفس الممارسات الطقوسية التقليدية، إضافة إلى التغيرات البيئية مثل تدهور الأراضي الفلاحية، ونقص المياه، مما جعل الفلاحين أقل ارتباطاً بالأرض، وبالطقوس الفلاحية التقليدية.

ومن خلال دراسة هذه المحاور، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية شاملة حول كيفية الحفاظ على الطقوس الفلاحية في منطقة الأوراس في ظل التحديات المعاصرة، مع تسليط الضوء على الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الطقوس في الحفاظ على الهوية الثقافية المحلية، وتعزيز الوعي البيئي.

1. الطريقة والأدوات :

أ. الإطار المنهجي: الطريقة والأدوات:

- أولاً: اعتمدنا في هذا المقال على منهجية عامة تقوم على تعددية متكاملة تجمع بين المناهج النوعية والكمية بشكل ثانوي، لضمان الحصول على رؤية شمولية وعميقة. وتعتمد هذه المنهجية على:
- المنهج الإثنوغرافي: الذي يركز على فهم الثقافة المحلية من الداخل، سعياً لاكتشاف المخيال الاجتماعي الذي يوجه المجتمع الأوراسي.
 - منهج دراسة الحالة (étude de cas): حيث اخترنا دراسة طقوس فلاحية محددة (مثل الزراعة والحصاد) في قرى منطقة الأوراس.

ب. أدوات جمع البيانات:

- اعتمدنا في هذه الدراسة على أدوات جمع متنوعة من أجل وصف الظاهرة وتحليلها، منها:
- المقابلات شبه الموجهة: بهدف فهم درجة استمرارية أو قطيعة هذه الممارسات، وأجريت مع فئات مختلفة من المجتمع الأوراسي: كبار السن، الفلاحين، الحرفيين، وفئة الشباب.

2. المفاهيم المفتاحية:

1.2 تعريف الطقوس : الطقوس أو الشعائر يمكن أن تُعتبر أولاً محاولة للسيطرة على التوازن المحتمل وهو توازن دائماً ما يكون هشاً ويحتاج إلى تجديد مستمر؛ فبالنسبة للشعيرة نفسها، فإن وظيفتها، وشكلها الرسمي، وقدرتها على التكرار، تبدو متعارضة مع عملية العاطفة. فإدارة أي شيء عشوائي تتطلب ترتيباً مسبقاً، وبالتالي هدوءاً. ففي الواقع، تظهر أقوى العواطف عندما يُذكر التهديد الذي قد يكون عائناً أمام الالتزام الدقيق بالقوانين الدينية. يشير "تيتوس ليفيوس" (Titus Livius) (C.-17 av-59) إلى أن الملك الروماني "كاميلوس" (Camille)، لتحقيق أهدافه، لا يتردد في استخدام الحجة الأقوى: إذ يذكر بدقة الأديان المرتبطة بالمواقع المقدسة. بالنسبة للشعيرة نفسها، لا يمكن أن تكون العاطفة سوى اضطراب، ولكن الشعيرة، بشكل حتمي، يجب أن تهتم بها.

إن إدارة العواطف هي في الواقع جزء لا يتجزأ من الشعيرة، بما أنها، في معظم الأحيان، تدعي تكرار واحتفال بالفعل نفسه الذي من المفترض أن تصحيحه، والصدمة الأولية التي جعلت تأسيسه ضرورياً. يمكن أن تتضمن سلسلة الشعيرة تقديم عرض لفعل قد يثير عاطفة، مثل ذبح أضحية تضحية، على سبيل المثال، أو شكاوي تنشأ عند ذكرها. (Borgeaud, 2016 , p 252).

2.2 المقدس:

المُقدّس هو ما لا يمكن للإنسان لمسه دون أن يُنجس أو أن يتنجس. يُقابل الاختلاف بين المدني والمقدس في علاقات البشر مع بعضهم البعض، وكذلك في علاقاتهم مع الخارق أو الآلهة والإله. ويُستخدم هذا المصطلح للدلالة على شيء أو طقوس أو مراسم أو شخص (وفي السياق المسيحي، مرادف لكلمة "قديس" كما في "الكوليج القديس" للكرادلة). يُعتبر شيء مقدساً عندما يكشف في الواقع الظاهر عن واقع غير مرئي، ويحمل نسبة من الغموض والتفوق التي لا يمكن تقليصها. ويشمل شعور المقدس الإكرام والعبادة، والخوف والإعجاب. وغالباً ما يكون ذو طابع مزدوج، حيث رآه عالم الاجتماع "إميل دوركهايم" (Émile Durkheim) (1858-1917) إسقاطاً لتفوق المجتمع على الأفراد الذين يشكلونه. فالنقد العقلاني للفكر الديني (مثل سبينوزا وكانط)، وانتشار الفكر التكنولوجي والعلمي، والديمقراطية والعلمانية، أدت إلى تقييد كبير لمجال المقدس، حيث أصبح مقتصرًا غالباً على الشخص البشري وحقوقه. (Louise-Marie Morfaux, 2017, p510).

3. الممارسة الفلاحية في الأوراس بوصفها تجسيداً للمعتقد:

تبدأ الممارسة الفلاحية في منطقة الأوراس في بداية شهر سبتمبر، حيث يبدأ الفلاح الأوراسي بتحضير أرضه لزراعة المحاصيل، وتستمر هذه العملية حتى بلوغ شهر نوفمبر، وتمتد خدمة الأرض طوال فترة طويلة إلى غاية نهاية شهر فبراير من السنة التالية. (André Basset, 1961, p41) وفي أثناء هذه الممارسات الفلاحية، يولي الفلاح الشاوي اهتماماً خاصاً للطريقة التي يقوم بها بإدارة أرضه وأدواته،

معتقداً أن بعض الأفعال الطقسية التي يقوم بها أثناء العمل تساعد في حماية الحبوب والحيوانات من التأثيرات الضارة، وتضمن البركات من السماء لضمان نجاح العمل، والمحاصيل المستقبلية. وتتم هذه الأعمال الفلاحية وفقاً لأوصاف دقيقة للشعائر والطقوس المتبعة في المنطقة، والتي تلتزم بتقاليد قديمة متوارثة. هذه الطقوس ليست مجرد ممارسات فلاحية عادية، بل هي ممارسات تحمل طابعاً دينياً وثقافياً عميقاً. شعائر الفلاح الأوراسي تتجاوز الوظائف الفلاحية المعتادة لتصبح جزءاً من معتقدات دينية قديمة. يتم إضفاء طابع مقدس على عملية الفلاحة من خلال هذه الطقوس، التي يعتقد الفلاح أنها تحمي أرضه ومواردها من الأضرار، وتجلب البركة لها (Emile Laouste, 1983, p308) فالاحتفالات والطقوس الفلاحية في الأوراس تشهد على المعتقدات الفلاحية المتعلقة بالتفاوض بزيادة المردودية، حيث أن الأرض تعتبر كائناً مقدساً يجب احترامه والاعتناء به. كما تبرهن هذه الطقوس على الروابط العميقة بين الإنسان والأرض، وتستعرض مدى احترام الفلاح لعمله كمهنة تتطلب الالتزام بالمعتقدات والتراث. تعتبر هذه الممارسات الفلاحية دليلاً على كيفية تكامل العمل الفلاحي مع الطقوس الدينية والثقافية، وهي تجسد الإيمان العميق الذي يضعه الفلاح في الحفاظ على الأرض والمحيط الطبيعي. هذه الاحتفالات والممارسات تساعدنا في فهم أفضل للأسباب التي تجعل مهنة الفلاح تحظى باحترام كبير في المجتمع الأوراسي، حيث تمثل الارتباط القوي بين الإنسان والطبيعة.

4. التضحية الشعائرية "أسفيل": (asfel) أو التفاؤلية:

"أسفيل" (asfel) هو اسم مشتق من جذر بربري، مثبت في التامازيغ وفي القبائلية، يعني هذا الجذر: "المرور فوق، تجاوز، تخطى، اختفى، رحل". من المحتمل جداً أن تكون صيغة "أسفيل" هي اسم أداة تجاوز، وبالتالي يمكن تفسير "أسفيل" بشكل أشبه بالأصل على أنه "الشيء الذي يجعل الشيء يرحل الشيء الذي يساعد على التجاوز".

وفي الجذور الأمازيغية، يشير "أسفيل" إلى طقوس طرد تُستخدم لعلاج مجموعة متنوعة من الأمراض مثل: الصداع، والحمى، والتهاب الأصابع، وبشكل خاص تلك التي يُعتقد أنها ناتجة عن تأثيرات سلبية مثل: العين الحسد، والصرع، والعقم. لكل من هذه الأمراض تصنيف محدد لـ "أسفيل".

كما يشير "أسفيل" أيضاً إلى الطقوس ذاتها عموماً، وإلى الكائن الدقيق الذي يُستخدم كوسيلة لنقل الشر وطرده. تكون هذه الكائنات متنوعة من حيث النوع، حيث يمكن أن تكون حيوانات منزلية مثل: الحمام، والدجاجة، والجدي الصغير، والخروف، وغيرها. في هذه الحالة، يتخذ "أسفيل" شكل تضحية بالدم، ويطلق

عليها الذبح أي "تيمزليوت" (Timzliwt) (Henri Genevois, 1964, p73).

أيضاً، قد تشمل عناصر غذائية مثل: الدقيق، والخضروات، والزيت، واللحم، والملح، حيث تُجمع هذه المؤونة من باب إلى باب، خاصة في حالات مثل العقم. في هذه الحالة، يُطلق على "أسفيل" اسم "أسفيل أسماذ"، أي "أسفيل بارد".

2.4 رمزية الطعام: أو وجبة الاحتفال بالطقوس الفلاحية بمنطقة الاوراس:

تلي الوجبة المقدمة للاحتفال، مرحلة ذبح الأضحية ، وتعد هذه العادة سمة مميزة في مختلف المناطق الأمازيغية، حيث يُقدّم فيها "الوعدة" (Lwaeda) التي تتضمن التضحية بشاة أو معز، ويُعدّ الكسكس باللحم وجبة مخصصة للجيران والفقراء. وفي بعض الأحيان، يتم دعوة جميع أفراد القرية للاحتفال معًا.

في طقوس الزراعة الأولى، تحتل المرأة مكانة هامة، كما تشير شهادة الباحثة الانثروبوجية الفرنسية "ماتيا كودري" (Mathéa Gaudry) إذ قبل التوجه إلى الحقل، تقوم المرأة بتحضير "تاشخشوخت" التي ستتناولها عند العودة. في الوقت نفسه، يقوم الرجل بوضع بذور القمح أو الشعير في "ساكو" (حقيبة)، بالإضافة إلى الجوز، والبطيخ، والبطيخ الأحمر، والرمان، بينما يملأ محفظته بالتمور، ويُحضّر "الأتمين" الضروري في إناء من الطين ويُسقى بالزبدة المذابة والعسل.

في هذا اليوم، ترتدي جميع نساء الأوراسيات أجمل فساتينهن، لكنهن يلتزمّن بتجنب وضع المكياج، سواء كان الكحل الأسود للعيون أو أحمر الشفاه والخدين، حيث يُعتقد أن ذلك قد يجلب النحس. وبعد الانتهاء من مرحلة التضحية، تقدم زوجة الفلاح الفواكه لجميع الحاضرين، وتضع ملعقة من "الأتمين" في يد كل شخص، وتدعو حتى المارة، حتى وإن كانوا أعداء للعائلة، للمشاركة في هذه الوجبة، حيث يجب أن تكتمل هذه الوجبة قبل غروب الشمس. وفي طريق العودة إلى الدشرة عند الغروب، تقوم المرأة بتقديم "الأتمين" لجميع الأشخاص الذين تلتقي بهم، مما يرمز إلى عودة البركة إلى الأرض والمجتمع. عند العودة إلى المنزل، تتناول العائلة بقايا وجبة الريف، ثم تستمتع بسعادة بتناول "تاشخشوخت" التي تم تحضيرها قبل مغادرة المنزل، مما يعكس عودة الفرحة والبركة في حياة الأسرة والمجتمع.



وجبة تاشخشوخت للاحتفاء بباينير بمنطقة الاوراس

5. ضوابط معتقدية لتنظيم التقويم والممارسة الفلاحية في منطقة الأوراس.

تمثل الفلاحة فترة هامة في العام مخصصة للأرض والنمو، وترافق هذه الفترة مجموعة من المحظورات التي يتبعها الفلاحون في منطقة الأوراس. خلال رسم الخط الأول في الحقل، يجب على الفلاح أن يظل صامتاً، مثل النساء اللواتي ينسجن على نول الحياكة، وكذلك مثل الرجال الذين يحفرون القبور. هذه الصمت يعكس الاحترام للطبيعة، ولعملية الفلاحة كعمل مقدس.

وعلى صعيد آخر، خلال الأيام الثلاثة الأولى من فترة الحداد، يُحظر تنظيف المنزل "حتى لا يُطرد الرزق"، وهو اعتقاد يؤكد أهمية احترام الحداد في هذا الوقت. كما تُمنع النساء من أداء الوضوء الكبير خلال الأسبوع السابع بعد بدء الفلاحة، وذلك لتفادي التأثيرات السلبية المحتملة على المحاصيل بسبب الأمطار الغزيرة التي قد تُغرق الحبوب في الحقول. في نفس السياق، يمكن للنساء أن يمتنعن عن النهوض لمدة سبعة أيام بعد الجنائز كعلامة على الحداد، وفي الحالتين، الفلاحة والجنائز، يُحظر رفع الملابس لمدة أربعين يوماً، مما يعكس الاحترام للطبيعة، والروحانية المرتبطة بالأرض.

منذ اليوم الأول للفلاحة ولمدة تتراوح بين ثلاثة إلى سبعة أيام، حسب المنطقة، يترك الرجل شعره ولحيته تنمو، بينما لا تقم النساء أي نوع من التجميل مثل التشميع. كما أن اللواتي لديهن شعر قصير أو غير كثيف لا يكشفن رؤوسهن، لأن الأرض تُعتبر في هذه الفترة كامراً حامل، والزراعة، والنسيج، والزواج جميعها عمليات تجذب القوة الإيجابية، وتمثل تجسيداً للخصوبة والحياة.

خلال عملية النسيج، تقوم المرأة بتمرير خيوط اللحمية بين خيوط السلسلة من اليمين إلى اليسار، تماماً كما يقوم الفلاح برمي حبوبه في الحقل، مما يعكس التشابه بين هذه العمليات التي تعتبر تجسيداً للخصوبة والإبداع.

أما في اليوم الأول للاحتفال بـ "بيانير" عند الأوراسيين، فإن سكان "بني بوسليمان" يمتنعون عن تناول التمور، حيث يُعتبر هذا اليوم "مازلغ" يوماً يمتنع فيه الناس عن القيام بأي مشروع أو رحلة أو حتى الاحتفال بحفل زفاف. كما تمتنع نساء المنطقة عن القيام بعمليات غزل النسيج في هذا اليوم، وذلك كجزء من الطقوس المتبعة والمرتبطة بالاحتفال. (Mathéa Gaudry, 1998, p 165).

6. الطقوس العريقة في منطقة الأوراس: استمرارية الموروث عبر الأجيال.

1. عيد سوق الخريف (ثامغرا نتمنووث)

يعد من أقدم التظاهرات التي استطاع سكان الأوراس الحفاظ عليها، وإحيائها سنوياً. هذه التظاهرة تمثل مزيجاً تجارياً، واجتماعياً، وثقافياً، ودينياً، يعود تاريخها إلى عدة قرون. وتختلف آراء المؤرخين والباحثين حول تاريخ بدايات هذه التظاهرة، حيث يرى البعض أنها تعود إلى فترة الملك "ماسينيسا" الذي أولى اهتماماً كبيراً بالفلاحة والزراعة، حيث كانت هناك أسواق متخصصة، وكان سوق عيد الخريف في تلك الفترة يعرف باسم "لام أوقليذ" أي "سوق الملك".

من ناحية أخرى، يعتقد البعض أن بدايات هذه التظاهرة تعود إلى القرن السادس عشر بعد وفاة الولي الصالح "عبد السلام بن مشيش"، ويُحتفل بذكرى وفاته في نهاية شهر أوت (27). تقام هذه التظاهرة سنويًا من 27 إلى 29 أوت في منطقة "كوت" (T'kout) بباتنة، ويشكل هذا الموعد فرصة لتلاقي أعيان العرش، وفض النزاعات، ومناقشة مختلف القضايا العرفية. ويتم ذلك بالاستناد إلى الشريعة، ويتم التباحث حول القضايا الراهنة مثل: المهر، وشروط الزواج، والدية، بالإضافة إلى تناول المعاملات التجارية بمختلف أنواعها.

وتتم هذه المهام من خلال جماعة تُعرف بـ "تاجمعات ناه بوسليمان"، والتي تُعد بمثابة محكمة تحكم بالعدل وتحظى بثقة عالية عبر العصور من قبل مختلف المناطق. إضافة إلى ذلك، يتضمن عيد سوق الخريف عرضًا للمعروضات التقليدية التي تعبر عن أصالة المنطقة وثقافتها (Maurice, 1935).



تظاهرة عيد الخريف بمنطقة "كوت" بباتنة

2. الربيع (ثيفسوين): (Thifswin) في ليلة الربيع، التي تُحتفل بها عادة في 29 فبراير، يقوم الفلاحون في منطقة الأوراس بتحضير "شخشوخة" الكسرة بالدهان والبيض. وعند الفجر في صباح يوم الربيع، يخرج بعض المواطنين وخاصة النساء، ومعهن بعض الرجال الذين يعملون كحراس، متجهين إلى الجبال التي تتراوح المسافة بينها وبين قريتهم ما بين خمسة إلى عشرة كيلومترات، وأحيانًا أكثر في بعض الأماكن. يحملون على ظهورهم حزمًا ثقيلة من أغصان شجر الكروش، والبلوط، والعرعار، والحلفاء.

وعند عودتهم بعد شروق الشمس، وقبل الوصول إلى قريتهم بنحو كيلومترين، يتوقفون في مكان يُسمى "إيفويان إيهحراس"، الواقع بالقرب من سكناتهم. هذه الرحلة الرمزية تعكس ارتباط المجتمع بالأرض والطبيعة في هذا الاحتفال السنوي.

عيد الربيع تيفيسوين: يحدث هذا العيد في معظم الأحيان في ليلة الـ 14 إلى الـ 15 من فبراير وفقاً للتقويم اليولياني، حيث تبدأ الاحتفالات من منتصف الليل حتى فجر اليوم التالي. تخرج مجموعات من العائلات من الديشرة، حيث ترتدي النساء أجمل فساتينهن ويختلطن بالرجال. يطلق الجميع أصواتاً عالية لتتبيه السكان برحيلهم، وتحفيزهم على متابعة هذه الطقوس، مصحوبين بموسيقيين، متوجهين إلى الغابة المعروفة باسم "مالو أزوغاغ". في هذه الغابة، يقوم كل رجل أو امرأة بقطع فرع من شجرة البلوط الأخضر، بينما تشارك النساء في لعبة "هاكورت" التقليدية. (Mathéa Gaudry, 1998, p259) ولعل الشيء المعروف عن هذه اللعبة أنها منذ 1962 م لم تعد حكرة على الممارسة فقط من طرف النساء، بل أصبح يمارسها حتى الرجال .



لعبة هاكورت التقليدية

3. عيد يناير أو ينار (Yennayer) :

يعد عيد يناير بداية العام الفلاحي، ويُحتفل به في أول شهر من شهور السنة الفلاحية، والذي يتضمن شهوراً مثل: يناير، وفبراير، ومارس، وأبريل، ومايو، ويونيو، ويوليو، وغشت، وسبتمبر، وأكتوبر ونوفمبر، وديسمبر. في هذه المناسبة، يتم الاحتفال ببداية العام الفلاحي عبر عدة طقوس ومظاهر بالإضافة إلى تخصيص ليلة خاصة للترحيب بالعام الجديد، حيث تتزين الأسرة بالملابس الجميلة. في ليلة يناير، يقوم أغلب سكان المنطقة بتحضير "شخشوخة" الكسرة بلحم البقر، بينما يطهو الجميع "الشرشم" باستخدام الذرة والقمح. وفي المساء، وهو آخر يوم من السنة الفلاحية، تُقام العديد من الطقوس. يقوم الفلاحون بتحضير الطين لتجديد الحفرة التي يشعلون فيها النار للطبخ، وتسمى هذه الحفرة "الكانون". ويقومون بتنظيف الكانون، حيث يتم استبدال المناصب القديمة (أحجار يوضع فوقها الكانون) وإلقاؤها في

الوادي، ثم وضع المناصب الجديدة مصحوبة بكمية من الرمل النقي الناعم وبعض قبضات من الحشيش المزهري. بعد ترتيب المناصب في مواقعها، تُفرش ساحة الكانون بالرمل، والنبات المجلوب. كما يتم تنظيف المدخنة من خلال إزالة "القنديل" (وهو بقايا الدخان) باستخدام جريد النخلة أو أوراق الشجر أو أي مادة أخرى. في صباح اليوم الأول من العام الفلاحي، يتم تبادل أطباق "اشرشم"، وفي بعض العائلات، يتم تحضير العصيدة، وهي طعام يتم تحضيره من دقيق ممزوج بالماء وقليل من غبرة الفلفل الأحمر (Mathèa Gaudry, 1998).

خاتمة:

الطقوس والاحتفالات الفلاحية في منطقة الأوراس تعد جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الثقافي والاجتماعي، حيث تشكل هذه الممارسات سلسلة من العادات الراسخة التي تتوارثها الأجيال عبر الزمن. فقد ارتبطت هذه الطقوس ارتباطاً وثيقاً بالهوية الثقافية لأهالي الأوراس، وتُعتبر مظهرًا من مظاهر العناية بالأرض وبالطبيعة المحيطة، التي هي المصدر الأساسي للعيش في هذه المنطقة الجبلية. تعد هذه الطقوس، التي تبدأ من "ثامغرا نتمنووث" (طقوس الفلاحة) وصولاً إلى "تيفيسوين" (احتفالات الحصاد) و"عيد يناير" (الموسم الفلاحي الجديد)، نماذج حية تُبرز قيمة الفلاحة في الحياة اليومية لسكان الأوراس. ومع أن هذه الطقوس تُمارس أساساً في السياق الفلاحي، إلا أنها تتجاوز هذا البُعد لتشمل أبعاداً اجتماعية ودينية، وروحية، مما يجعلها جزءاً من النظام القيمي الذي ينظم الحياة في هذه المجتمعات. تسهم هذه الطقوس في الحفاظ على الروابط الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع، إذ تُعد مناسباتها مجالاً للتواصل، والتفاعل بين الأسر والجيران. في هذه الاحتفالات الجماعية، يبرز التضامن والتعاون بين الأفراد، حيث تُتبادل الأعمال الفلاحية، ويتم فيها التحضير للطعام التقليدي، مما يعزز العلاقات الاجتماعية، ويجسد مفهوم الاحترام المتبادل. فبينما يُنظر إلى الطقوس الفلاحية كوسيلة لضمان نجاح المحاصيل الزراعية، وتحقيق الوفرة، فهي أيضاً جزء من الحفاظ على الهوية الثقافية التي تشكل الملامح الاجتماعية لأهالي الأوراس، وتُعتبر مؤشراً على ارتباط الإنسان بالأرض، والأصول التقليدية. ومع التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها منطقة الأوراس في السنوات الأخيرة، أصبحت هذه الطقوس مهددة بسبب تأثيرات العولمة، والتحويلات الاقتصادية التي تتجاهل أو تهدد القيم التقليدية. ففي ظل هذه التحويلات، يُعتبر من الضروري الحفاظ على هذه الطقوس الفلاحية، والاعتناء بها كجزء من التراث الثقافي الذي يعكس نضج المجتمع الأوراسي، وتاريخه الطويل. لذلك، تبرز أهمية تعزيز الوعي المجتمعي حول القيمة الثقافية لهذه الطقوس، بالإضافة إلى تجديد الاهتمام بها في سياق العوامل الحديثة

التي تهدد وجودها. إذ أن الاستمرار في ممارسة هذه الطقوس يساهم في تجديد الذاكرة الجماعية، ويعزز من تمسك الأجيال الجديدة بالتراث الفلاحي المحلي. وعلى الرغم من التحديات التي تواجهها هذه الطقوس، تظل هي السجل الحي للمجتمع الأوراسي. من خلال الحفاظ على هذه الطقوس، يمكن تعزيز الهوية الثقافية، وتوثيق الممارسات الفلاحية، والتقاليد الاجتماعية التي تحدد ملامح الحياة في الأوراس. إن هذا التراث اللامادي، الذي يتسم بالاستمرارية في وجه التغيرات المتسارعة، يظل شاهداً على تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية، ويجسد تقديره العميق للقوى الطبيعية التي تحكم مجرى الحياة. فالحفاظ على هذا التراث الفلاحي، وتوثيقه هو واجب ثقافي جماعي لضمان استدامته للأجيال القادمة، مما يعزز من ثراء الثقافة المحلية، ويدعم صمودها أمام التحولات العصرية التي تهدد استمرارية الممارسات التقليدية.

Bibliographie :

- Basset, A. (1961). *Textes sur les berberes de l'aurès : parler des Ait Frah*. Amerique d'orient: Maisonneuve .**
- Borgeaud, P. (2016). *exercices d'histoire des religions :comparaison, rites, mythes*. édition BRILL.**
- Delatrigue, I. c. (1904). *Monographie de l'aurès*. Marle Audrino.**
- Gaudry, M. (1998.). *la femme Chaouia de l'Aurès*. Algerie: dition Chihab –Awal.**
- Henri Genevois. (1964). *valeur du sang : Rites et partage à l'intention sacrificielles*,. fort national Alger , FDB.**
- LAOUSTE, E. (1983). *Mots et choses Berbères*,. Rabat: édition collection Calques,.**
- Louise-Marie Morfaux, j. L. (2017). *vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines*. france: édition Armand colin.**
- Mathèa Gaudry, *la femme Chaouia de l'Aurès*, édition Chihab –Awal, 1998.**
- Pierre Bourdieu, A. s. (1964.). *le déracinement : la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*. paris: éditions minuit.**
- Robert Claude Maurice, *Les fêtes estivales dans les Aurès : rites agraires et cycles saisonniers chez les Berbères de l'Est algérien*, Éditions Larose, Paris 1935.**